

التعاملات الدولية والإعلامية مع قضايا التعدد الإثني والتنوع الديني**International and media dealings with issues of ethnic diversity and religious diversity**كعسيس خلاصي خليفة¹، جامعة امحمد بوقرة - بومرداس، الجزائر

KASSIS Khalida, University of M'Hamed Bougara - Bumerdes, Algeria

Kassis7@hotmail.fr

منصوري سفيان، جامعة امحمد بوقرة - بومرداس، الجزائر

MANSOURI Sofiane, University of M'Hamed Bougara - Bumerdes, Algeria

Sofiane.mans@outlook.com

تاريخ النشر: 2018/12/30

تاريخ القبول: 2018/11/22

تاريخ الإرسال: 2018/11/20

ملخص

يتميز عالم اليوم بالمتغيرات السريعة التي أفرزت الكثير من الصراعات والحروب نتيجة التنوع العرقي والديني داخل العديد من المجتمعات، إذ أصبح موضوع التعددية بكل مدلولاتها القبلية، العرقية والدينية من المواضيع الشائكة والمطروحة اليوم بجدّة على المشهد السياسي الدولي لكونها إحدى أهم محاور السياسة الدولية، من جهة أخرى أصبحت اليوم تمثل قضية نظرية تشكّل محور العديد من الدراسات والأبحاث السياسية والاجتماعية، لاسيما فيما يتصل بآثارها وانعكاساتها على استقرار الدول وتداعياتها على المسألة الوطنية، وسبل تعامل إعلام القوى الكبرى مع هذه المسائل. ستركز دراستها هذه على الإشكالية المحورية الآتية: كيف يتعامل المجتمع الدولي مع قضايا التعدد الإثني والديني؟ وكيف يتناول إعلام القوى الكبرى هذه المسائل من خلال عرضه لها؟. ولفك شفرات الإشكالية البحثية ارتأينا ضرورة التطرق للمحاور الآتية. ارتكز المحور الأول على الواقع الدولي وقضايا التعدد الإثني والديني، أما المحور الثاني من الدراسة فتناول دور الإعلام الغربي في التعامل مع قضايا التعددية الإثنية والدينية. أما المحور الأخير من البحث فتطرق لطرق التوظيف السياسي لمسائل التعدد الإثني والديني.

الكلمات المفتاحية: التعدد الإثني، التعدد الديني، التوظيف الإعلامي، النزاعات العرقية.

Abstract

The world of today is characterized by rapid changes that have resulted in many conflicts and wars due to ethnic and religious diversity within many societies. The subject of pluralism with all its ethnic, racial and religious implications has become one of the most important axes of international politics. On the other hand, it became now a theoretical issue that is the focus of many studies and political and social research, especially in relation to its effects and implications on the stability of countries and their implications on the national issue. This study will be based on the following pivotal dilemma: How does the international community deal with issues of multi-ethnic and religious diversity? How does the media of the major powers deal with these issues by presenting them? "In order to solve the research problem, we decided to address the following points. The focus of the study was on the role of Western media in dealing with issues of religious and ethnic pluralism. The focus of the research is on the methods of political employment of issues of pluralism and religious pluralism.

Keywords: ethnic diversity, religious pluralism, media employment, ethnic conflicts.¹ المؤلف الرئيسي: كعسيس خلاصي خليفة، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق، جامعة امحمد بوقرة - بومرداس، الجزائر

مقدمة

عادة ما ترتب قوة الدولة إلى مؤشرات من أهمها البعد الاقتصادي، غير أن التماسك والاندماج الاجتماعيين لهما من القوة والخطورة ما يمكنهما من زعزعة الاستقرار السياسي للدولة، فإذا طرحت قضية الفروقات مهما كانت طبيعتها، عرقية أو دينية فإن أثرها ونتائجها ومستقبلها يشكل خطرا كبيرا على كيان الدولة. لاشك في أن التعدد داخل المجتمع يعدّ ظاهرة طبيعية ومصدر تنوع ومتغير بالنسبة للدولة في حال تمكّنت من استيعاب مختلف الاختلافات وتوظيفها والاستثمار فيها، محققة بذلك حالة من الاندماج الوطني، غير أن هذا التنوع يمكن أن يتحوّل إلى معضلة تهدد كيان الدولة ووجودها وتؤدي إلى حالة من اللا استقرار في حال عدم تحقيق التماسك الاجتماعي والاندماج الوطني، ما يفتح المجال أمام التدخل الخارجي لأغراض إنسانية والذي يكون في الغالب مصدرا أساسيا لتغذية وتأجيج هذه الاختلافات خدمة لمصالحها.

هناك عدة مداخل يمكن من خلالها مقارنة هذا الموضوع منها المدخل السياسي الذي يتناول موضوع الحريات السياسية و بالتالي الحق في تأكيد الهوية من خلال الانفصال وإقامة الفيدرالية أو الاتفاق على تقاسم السلطة والثروة وغيرها من البدائل والحلول، كما نجد المدخل السوسيولوجي و يبحث في المعطى التاريخي و دراسة التناقضات الاجتماعية، إلى جانب المدخل القانوني الذي يتطرق إلى الزوايا القانونية لهذه القضايا على مستوى الهيئات الدولية، غير أن مقاربتنا سوف تكون من زاوية التوظيف السياسي والإعلامي لقضايا التعدد الإثني. بناء على المعطيات السابقة يحاول بحثنا هذا الإجابة عن الإشكالية الآتية: كيف يتعامل المجتمع الدولي مع قضايا التعدد الإثني والديني؟ وكيف يتناول إعلام القوى الكبرى هذه المسائل من خلال عرضه لها؟

1. الواقع الدولي وقضايا التعددية الإثنية

الاختلاف و التعدد سمة بشرية منذ وجود الإنسان على وجه البسيطة لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ⁽¹⁾. تاريخ البشرية أغنته شعوب ومجتمعات، أجناس وأمم و طوائف عديدة. تنوع شكل عاملا ايجابيا تطوّرت و أبدعت من خلاله المجتمعات تحت مظلة التعايش، وتنوع استغل في مراحل تاريخية ليكون عنوانا للحروب والصراعات والفتن تحت عنوان التميز والتعريف عن الذات. ذلك أن التنوع في حد ذاته يمثل غنى ثقافيا وتنوعا اجتماعيا يزيد من تماسك واستقرار الدول والمجتمعات، لكن إذا ما تم استغلاله وتوظيفه لأغراض سياسية، فقد يفتح المجال أمام التدخلات الأجنبية تحت عناوين كثيرة يندرج أغلبها ضمن قضايا حقوق الإنسان وحماية الأقليات، ليصبح هذا التنوع عامل تهديد بل وأداة هدم لمفهوم المواطنة و لكيان الدولة القومية إلى جانب العديد من العوامل الأخرى.

إن الصراع ظاهرة طبيعية في حياة الإنسان وفي حياة الدول، ظاهرة شديدة التعقيد، ارتبطت كمفهوم وكمصطلح بظهور الدولة القومية. لكن عندما تأخذ الظاهرة النزاعية صبغة الهوية والدين والعرق، يستحيل وضع قواعد ثابتة للسلوكات الاجتماعية و بالتالي ضبط تداعياتها على استقرار الدول. لقد كان من تداعيات نهاية الحرب الباردة، وتفكك الاتحاد السوفيتي والديمقراطيات الشعبية في أوروبا الشرقية، أن

فسحت المجال أمام عودة النقاش حول الجماعات الأقلية والإثنية عندما تشعر بأن ثمة تميز جماعي يمارس في مواجهتها⁽²⁾، وحقها في تحقيق الاندماج السياسي وحصولها على حقوقها السياسية والقانونية، كالمشاركة في الحكم أو اختيار شكل النظام السياسي المناسب.

ذلك أن المرحلة الجديدة التي عرفت بالنظام الدولي الجديد جاءت بقيم جديدة تتمثل في دعم حقوق الإنسان والأقليات، فضلا عن الحد من سيادة الدول وتقليص مفاهيم السيادة التقليدية⁽³⁾، هذا وغيره ساعد في إشاعة مناخ ملائم للنضال العرقي والمطالبة بتغيير واقع الأقليات في مختلف قارات العالم، كل بطريقته الخاصة وأساليبه المختلفة، وفي المقابل كانت ردود السلطة المركزية بكيفيات متعددة و مختلفة، سواء بالاحتواء أو العنف. أو الاستجابة المرحلية لمطالب تلك المجموعات حسب درجة الأهمية الجيوإستراتيجية التي تمثلها تلك الدولة.

1- مقارنة دلالية لمعاني للتعدد الإثني والعرقي

تعريف عديدة ومختلفة تناولت مفهوم التعدد الإثني مستندة لمعايير عديدة في تحديدها للمدلول وذلك تبعا لاتجاهاتها الفكرية، فهناك من اعتمد معيار العدد، أو معيار التمايز عن الأغلبية، أو حتى أهمية الوضع السوسيوولوجي، وغيرها من المعايير، وتجاوزا لهذا التباين في بحر التعاريف المختلفة لهذا المدلول الذي بالتأكيد يحمل أبعاد اجتماعية وثقافية وعرقية ولغوية، سوف نقتصر على بعض التعاريف العامة والشاملة.

تعرف الأقليات بأنها جزء من سكان دولة معينة مع اختلافها عن باقي السكان من حيث امتلاكها لخصوصيات معينة، كما أن الأغلبية تراها بصورة مختلفة أو تعترف لها بمكانة خاصة مجتمعية⁽⁴⁾.

وتعرفها الموسوعة البريطانية الجديدة بأنها "مجموعة متميزة ثقافيا أو اثنيا أو عرقيا ضمن مجتمع أكبر"⁽⁵⁾، غير أن هذا المصطلح يحمل داخله شبكة أكثر من الآثار السياسية والاجتماعية. كما تعرف الجماعة الإثنية بأنها فئة متميزة من السكان تعيش في مجتمع أكبر لها ثقافتها المتميزة، تشعر بذاتيتها، ويرتبط أفرادها معها إما بروابط السلالة أو الثقافة أو القومية⁽⁶⁾، و"أنها تجمع بشري يشترك أفرادها في بعض المقومات (الفيزيائية) كوحدة الأصل (أو ثقافية) كوحدة اللغة أو الدين أو التاريخ أو غيرها من المقومات الثقافية"⁽⁷⁾.

تعرف الجماعات الإثنية والعرقية على أنها جماعة بشرية يشترك أفرادها في العادات والتقاليد واللغة والدين وأي سمات أخرى مميزة⁽⁸⁾، وتجاوزا لهذا التعريف العام هناك اختلافات من حيث الدلالة، فالإثنية هي هوية اجتماعية تستند إلى ممارسات ثقافية من خلال الشعور بالانتماء إلى جماعة ذات هوية معينة، بينما العرقية تكون قائمة على الأصل البيولوجي، أي السلالة التي تعبر عن أقلية بغض النظر عن الثقافة والمعتقدات فهذا التعريف يركز على الانتماء العرقي، والأصل هو العنصر الأساسي والعامل المهم والمحدد لكل التعريفات للإثنية في العلوم الاجتماعية والسياسية⁽⁹⁾. أما القومية فهي تعبر عن حركة سياسية تستهدف قيام كيان سياسي ذو مقومات مشتركة. لقد حملت القومية تكديبا قاسيا للزعة العالمية باعتبارها تغذى من التقاليد التاريخية التي تشكّل ضمانات لهوية الأمة و خصوصياتها⁽¹⁰⁾.

من حيث المبدأ لا يختلف اثنان حول حق الأقليات سواء كانت إثنية عرقية أو دينية أن تؤكد هويتها وأن تحقق ذاتها في مجتمعاتها ، وأن تحظى بنفس الحقوق السياسية والقانونية التي تحظى بها الأغلبية، لكن عندما تتزايد الولاءات للانتماءات الفرعية يكون تأثيرها خطيرا على استقرار الدولة ومستقبلها.

إن احترام الحرية الإنسانية كمعطى ثابت وطبيعي ، وكحق تضمنه كل القوانين والأعراف الدولية دون ترسيم للفوارق أي كان شكلها ، لا ينبغي أن يستغل لحسابات سياسية محضة ، وإلا سوف يفتح الباب واسعا أمام كل الاحتمالات، فعندما ينتقل الأمر من مسألة المبدأ ومن قضية الحق في المطلق إلى التوظيف السياسي والاستثمار الإعلامي، لا يمكن إغفال الدور الخارجي اللاعب على وتر العامل الديني والإثني ، طبعا لأهداف سياسية وليست إنسانية .

2- نهاية الحرب الباردة وأثرها في عودة النزاعات العرقية

لقد بات واضحا أنه مع نهاية الحرب الباردة تزايدت أهمية التعددية الإثنية والدينية ، حيث تصدرت المشهد السياسي الدولي، ويعود ذلك لكونها وراء العديد من الصراعات التي تشهدها الدول ، حيث أدت إلى، انهيار دول مثل الصومال، ليبيريا ، تغيير أنظمة مثل الكونغو وبورندي وانقسامات سياسية حادة في العديد من الدول مثل اندونيسيا والسودان ، وهذه خاصية تميزت بها فترة التسعينات، و تصاعدت وتيرتها اليوم و الأمثلة كثيرة ، فالحرب في البوسنة 1992-1995 ، كانت لأسباب عرقية ودينية، واستمرت الحرب في كوسوفو 1997-1998، تحت مسميات التطهير العرقي. أما قضية تيمور الشرقية وانفصالها عن الأرخبيل الاندونيسي 1999-2000 فكانت باسم حماية الأقلية المسيحية ، طبعا كانت الأهداف سياسية بالدرجة الأولى وليست إنسانية طبعا.

وبالنسبة لإفريقيا القارة الإفريقية ، فلقد بات النمط الجديد لظاهرة الصراعات أحد سمات الواقع الأفريقي ومصدر تهديد للأمن العالمي، كما أن تأثيرها كبيرا في مسار بناء الدول حديثة الاستقلال. إذ أصبحت الصورة الذهنية والقوالب الفكرية التي كرستها وسائل الإعلام الدولية والمحلية ترادف بين القارة الأفريقية وبين حالة العنف والصراع الداخلي والتخلف الاقتصادي الذي تعرفه.

لقد تزامنت نهاية الحرب الباردة مع تصاعد وتيرة النزاعات الإثنية في إفريقيا حيث لم يتم وضع حد للحروب الداخلية ولغيرها من ألوان التنافر الاجتماعي بالدولة الإفريقية⁽¹¹⁾. ويمكن حصر النزاعات التي تعرفها القارة في ثلاث موجات، موجة نزاعات الحرية، موجة النزاعات ما بين الدول الإفريقية، موجة النزاعات الداخلية⁽¹²⁾. وإساقاً مع هذا المنحى ظهر نمط جديد من الدراسات اهتم بدراسة الموضوعات والقضايا المتصلة بأوضاع وشؤون القارة الأفريقية ومن بين هذه القضايا موضوع "التعددية الإثنية/العرقية وانعكاسها على أمن واستقرار دول القارة". فمن بين "48" حرب ونزاع من الحروب والنزاعات التي عرفتها القارة الأفريقية خلال السنوات الممتدة بين عامي 1960 و2000، 37 منها كانت بدوافع أو لغايات عرقية؛ ما أثر بدوره على استقرار وأمن الدول الإفريقية خاصة في مستواه المجتمعي، ومنه القارة ككل. وبالرغم من وجود أزمات متجذرة في المنطقة خاصة مشكل الإثنيات، نجد أزمات مستجدة أو دخيلة على المنطقة بحكم نهاية الحرب الباردة حيث أضحت المنطقة ميدانا للتنافس الأمريكي - الفرنسي من جهة والأمريكي - الصيني من جهة أخرى،

تحت عناوين - مشكلة الطوارق - الإرهاب - توطين أفريكوم ، غير أن الواقع مرتبط بوجود رهانات جيو إستراتيجية.

أما بخصوص الشرق الأوسط فلقد تم اجتياح العراق في 2003 تحت مسوغات عديدة والتي أدت إلى انفجار المسألة الطائفية والمذهبية، مرة أخرى ليس في العراق وحده، بل على مستوى إقليمي. علما أن أغلب الأنظمة العربية تبنت في مرحلة ما بعد الاستعمار سياسات علمانية، تماشيا مع مرحلة الأيديولوجيات. تلك المرحلة التاريخية أدت إلى حالة من الكمون في المسألة الطائفية والمذهبية بصورة عامة، حيث غاب عنها "السؤال الطائفي"، الذي لم يكن مطروحا إلا في سياقات جزئية محدودة. لكن المتغيرات الدولية والإقليمية في السنوات الأخيرة شهدت عودة إلى منطق السياسات الطائفية في اللعبة الدولية. فالنزاع المذهبي السني - الشيعي اليوم هو نزاع أخذ أبعادا كثيرة، وتجلّى في صور متعددة منها الحرب بالوكالة في اليمن. نزاع يصوّر و يسوّق له على أنه قدر محتوم على المنطقة، غير أنه في الحقيقة ما هو إلا خلاف ونزاع سياسي، يلبس عباءة الدين، لتغيير طبيعة الصراع في المنطقة من صراع عربي - إسرائيلي ("صراع وجود")، إلى نزاع شيعي - سني ("خلاف مذهبي") مفتعل وتحول بذلك إسرائيل من العدو الإستراتيجي إلى الشريك الاقتصادي عبر المشاريع الشرق أوسطية. وإلا لماذا لم يكن مطروحا بهذا الزخم خلال فترة الحرب الباردة، تلك الفترة التي عكست انسجاما كبيرا بين العربية السعودية وإيران الشاه، تلك العلاقة التي أضحى علمها في إدارة جونسون "بسياسة الدعامتين" لأمريكا في الشرق الأوسط.

إذن الرهان اليوم بالنسبة للغرب وتحديد الولايات المتحدة الأمريكية هو رهان جيو إستراتيجي واقتصادي يهدف إلى ضمان أمن الطاقة، تحجيم أدوار القوى الصاعدة (الصين) لضمان إدامة النظام العالمي الحالي، بذلك تمثل منطقة الشرق الأوسط من الناحية الجيوبوليتيكية نقطة الارتكاز لأي مشروع أمريكي، ومنطقة القلب من حيث وفرة الطاقة. وعليه لابد من إحداث تغييرات جيوسياسية وذلك من خلال استغلال التناقضات الداخلية وافتعال نزاعات سياسية ومذهبية بغرض تفتيت المنطقة وإعادة ترتيب الجغرافيا والسياسية فيها. هذا الطرح يؤكد "سيمور هيرش" أن هنالك تحولاً بنوياً في الإستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة، تقع اللعبة الطائفية في صميم هذا التحول⁽¹³⁾، وذلك بقوله "السياسة الأمريكية الجديدة تجعل من "الحرب الطائفية" حجر الرجم في منطقة الشرق الأوسط"، وهو ما يؤكد مارتن أندريك من أن الشرق الأوسط قادم على "حرب طائفية باردة عميقة"⁽¹⁴⁾.

II. دور الإعلام الغربي في رصد قضايا التعدد الإثني والديني

أن يحدث نزاع بين إثنيات ومذاهب وطوائف دينية أمر وارد، لكن المميز لهذه المرحلة هو ذلك الزخم السياسي والإعلامي الذي رافق ويرافق هذا النوع من النزاعات والذي لم يكن مطروحا بهذا الشكل في سياق الحرب الباردة، واليوم تصاعد بشكل لافت وفي مناطق بعينها مثل المنطقة العربية الإسلامية. إذ أصبح محاور السياسة الدولية وذلك اتساقا مع المتغيرات الدولية والإقليمية، وموضوعا للنظام الإعلامي الغربي عبر آلياته وأدائه. هذا الإعلام الغربي الذي أصبح هو الذي يشكّل وعينا وإدراكنا بخصوص عديد القضايا، ويوجّه بذلك أحكامنا وتقييمنا للأشياء. فغالبا ما تصاغ الأفكار من خلال وسائل الإعلام التي أصبحت أكثر

فاعلية من مناهج الدراسة. فعملية تداول الصور والمعلومات تحدد معتقداتنا وواقفنا وتحدد سلوكنا في النهاية. ذلك أن الطفرة التكنولوجية في عالم الاتصالات أثرت بشكل كبير على نمط تفكيرنا بل وحتى نمط حياتنا عموماً، وبالتالي مقاربتنا لكل القضايا المطروحة. فالأفكار والصور المرتسمة على عقول الناس هي القوى غير المنظورة التي تحكمهم وتسيطر عليهم⁽¹⁵⁾ الإعلام ما هو إلا خط الهجوم الأمامي لأي معركة سياسية، اقتصادية، عسكرية أو غيرها، استخدمت هذه الأداة منذ القدم بصور مختلفة، لكن خطورتها اليوم تكمن في ذلك:

- ✓ الزخم في محتوى الرسالة التي تصل إلى المتلقي.
- ✓ المهنية العالية في الإقناع.
- ✓ الإمكانيات الهائلة المستخدمة.
- ✓ القدرة على إنتاج وبلورة مجموعة من المفاهيم والمصطلحات والقيم التي تسوق لها وتتساق مع الأهداف المرجوة منها.
- ✓ البرمجة العقلية والمقصود بها مخرجات اللعبة المتمثلة في توجيه الأحكام القيمية إزاء أي قضية بما يتماشى مع استراتيجيات القوى الكبرى المالكة لهذا الإعلام. وهو ما يسميه Herbert Schiller بالوعي المعلن⁽¹⁶⁾.

لقد أصبح إعلام الدول المتقدمة والمسمى بالإعلام الحر إعلاماً مركزياً موجهاً إلى حد بعيد، حيث أنه يصنع الفكرة وينشرها ويعبئ لها من الأدلة ما يكفي للإقناع، فوكالات الأنباء العالمية هي التي تصوغ الأخبار بلغتها ومصطلحاتها. فعندما نسمع عن مفاهيم ومصطلحات وتسميات لها دلالات إثنية وطائفية وغيرها مثل الحرب الطائفية ضد الأقليات، التوافق السياسي والطائفي الحرب المذهبية، المحاصصة الطائفية، التطهير العرقي، وغيرها من التسميات ندرك أن الإعلام الغربي ينتقي مصطلحاته بدقة كبيرة وبدراسة عميقة للعقل الجمعي الموجه له الرسالة الإعلامية.

فمحتوى الرسالة الإعلامية واستراتيجية الإقناع التي يتبناها الإعلام تقوم على:

- تقديم الرسالة بأدلة وشواهد.
- ترتيب الحجج الإقناعية.
- تأثير تراكم التعرض للتكرار.

بمعنى آخر التركيز على العاطفية، العقلانية والتخويف.

وكلنا يدرك إلى أي حد تتعرض لعملية التكرار خلال اليوم من خلال البث الحي والتركيز على قضايا بعينها ما يخلق لدينا انطباعاً بأنه ينبغي أن نكبر في المنطق المعروض علينا. وفق نظرية التأطير Framing Theory، أي لا خيارات لديك. إذن الإعلام هو المخبر الذي تتفاعل فيه الأفكار، وتصاغ فيه الأخبار بما يتماشى مع سياسات وأجندات الدول الكبرى. فالإعلام باستطاعته شيطنة الآخر، تجميل أي صورة نمطية، تكبير الأشياء الصغيرة وتحريك الأشياء الجامدة، وهي ذات أهمية سيكولوجية في عملية Matraquage.

١١١. التوظيف السياسي للتعددية الإثنية والدينية

لقد عرفت نهاية الحرب الباردة بروز نوعية جديدة من القضايا النزاعية ، حيث أن تغيّر النسق الدولي من جهة وضبابية المشهد في السياسة الخارجية الأمريكية من جهة أخرى في ظل غياب العدو والمحفز ، جعلت من مسألة التدخلات الأمريكية في الخارج مسألة غير مبررة ولا تكتسي الشرعية ذاتها خلال الحرب الباردة . من هنا أصبح لزاما استدعاء مفاهيم وطروحات جديدة تتماشى مع متطلبات المرحلة تم التسويق لها عبر المنابر السياسية والإعلامية ، فبدأ الحديث عن البعد الحضاري والقيمي للعلاقات الدولية ، أنسنة العلاقات الدولية ، حقوق الإنسان وحقوق الأقليات ، التدخل الإنساني ، الأمن الإنساني، المشروطة الاقتصادية ثم المشروطة السياسية، التحول الديمقراطي ، الربيع العربي وغيرها من المفاهيم ذات الصلة بحقوق الإنسان، والقانون الدولي والمنظمات التي تشكّل المدخل الرئيسي لرصد قضايا التنوع وتوظيفها لصالح أجندة معينة بطريقة شرعية وقانونية والتي تستند في عملها إلى تقارير إعلامية بالدرجة الأولى. الملاحظ هو في:

1- الانتقائية : إذ يتم التركيز على موضوع معيّن أو فضاء جغرافي بعينه ، والتمييز حتى داخل الفضاء الجغرافي نفسه ، فالיום العالم الغربي يتباكي على الشعب السوري ، ويتغاضى عن الإبادة المسكوت عنها في اليمن . لا لشيء ، فقط هي عملية اصطفاك سياسي وتحالف ظرفي مع قوى إقليمية.

2- إزدواجية المعايير : نجد قبول المجتمع الدولي بانفصال تيمور الشرقية المسيحية عن أندونيسيا المسلمة في ظرف قياسي ، في نفس الوقت كان مسلمي كوسوفو يتعرضون لمجازر وإبادة جماعية . تشجيع وتفعيل الفيدرالية في العراق ، لكن ليس في إسرائيل مثلا .

3- الوصفات الجاهزة : أو القوالب النمطية المفروضة كحلول للنزاعات الإثنية وغيرها مثل المشاريع الشرق أوسطية . فمشروع الشرق الأوسط الجديد 2006 على سبيل المثال هو لإعادة رسم خريطة سياسية جديدة تراعي حقوق الأقليات والطوائف على حد زعمهم ، أي سايكس بيكو جديدة أكثر عدالة بشعوب المنطقة.

خاتمة

لقد برزت قضايا التعددية الإثنية والدينية وتصدرت المشهد السياسي الدولي وذلك اتساق مع المتغيرات الدولية والإقليمية، تصاعدت هذه القضايا بشكل لافت وفي مناطق بعينها مثل المنطقة العربية الإسلامية، طبعاً ليس انتصاراً لحق جماعة إثنية معينة أو نصرة لطائفة دينية بعينها ، بقدر ما هو خدمة لأجندات دولية ومصالح أطراف خارجية منسجمة ومتماهية مع الوضع الدولي الجديد، فكان الإعلام إحدى أدواته من أجل التسوية والتبرير.

إن عودة المسألة الإثنية والدينية في مجال التداول السياسي والإعلامي أصبحت مطروحة بقوة، إذ أصبحت السياسة تلعب دوراً مهماً وحيوياً في تعميق النزاعات، ورفع حدة الاحتقان العرقي والمذهبي والطائفي في أي فضاء جغرافي. كما أصبح الإعلام أداة خطيرة ومدخل فعال لإقناع الرأي الآخر بالانخراط في أي قضية ومنه تبني الموقف المراد.

من الواضح أن الخلافات الإثنية والطائفية تستند إلى روافع سياسية ومصالح دولية في كثير من الأحيان، بحيث يتم توظيفها في سياقات محلية وإقليمية ودولية بعيدا عن المثاليات المعلنة حول حقوق الإنسان وحقوق الأقليات، فمبادئ البراغماتية والنفعية في العلاقات الدولية أسى من كل الاعتبارات الأخلاقية والقيمية .

لقد طغى الصراع والتوظيف السياسي المشوّه للخلافات الدينية والمذهبية على نوع الخطاب السياسي والاجتماعي أكثر من عوامل الوحدة الدينية والسياسية. فالإشكالية الكبرى ليست في الهويات والدين بحد ذاتها، لكنها في الافتعال السياسي والإيديولوجي المؤطر هوياتيا. حيث أن الاستثمار السياسي في الهويات الدينية والمذهبية والإثنية من بين العوامل التي أدت إلى تحوّل التنوع الثقافي من نعمة إلى نقمة .

الهوامش:

- ¹ - القرآن الكريم . سورة الحجرات ، الآية 13.
- ² - Wagley, Charles, Minorities in the new world, Colombia University Press, New yourk, 1985, P. 04.
- ³ - أبو العينين محمود، إدارة الصراعات العرقية في إفريقيا، مجلة الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، العدد 59، 2000، ص 23.
- ⁴ - Kettani mohamed alim, The problems of muslim minorities and their Solutions, in muslim communites in non muslim. Islamic council of Europe, London, 1980, P02.
- ⁵ - حيدر إبراهيم وميلاد حنا، أزمة الأقليات في الوطن العربي. دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى. 2002. ص 21.
- ⁶ - فاروق مصطفى إسماعيل: العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية: دراسة في التكيف والتمثيل الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص 41.
- ⁷ - وهبان أحمد، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر، دراسة في الأقليات والجماعات والحركات العرقية، الإسكندرية 1997. ص 109.
- ⁸ - عبد الحافظ أحمد، الدولة والجماعات العرقية. دراسة مقارنة للسياسة الروسية تجاه الشيشان وتارستان 1991 - 2000، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2005، ص 3.
- ⁹ - E.M.Burge, The resurgence of ethnicity, Myth 07 reality, Ethnic and racial studies, Vol1, N°03, July 1978 .P 226.
- ¹⁰ - جان جاك شوفالييه، تاريخ الفكر السياسي : من الدولة القومية إلى الدولة الأممية ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الثالثة، 2002. ص 90.
- ¹¹ - ياسين العيوطي، إفريقيا في عالم ما بعد الحرب الباردة، مجلة السياسة الدولية، العدد 106، القاهرة، أكتوبر 1991، ص 28.
- ¹² - محمد بوعشة، العرب والمستقبل في الصراع الدولي، الدار العربية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص 158-159.
- ¹³ - اللعبة الطائفية، جوهر الإستراتيجية الأميركية الجديدة في المنطقة، بتاريخ. 2018/04/05. (الموقع الإلكتروني) <http://www.alghad.com/articles/547860>
- ¹⁴ - محمد أبو رمان، التقريب و السياسة و الخلافات المذهبية، بتاريخ. 2018/04/09. (الموقع الإلكتروني) <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/24402075>
- ¹⁵ - رولاند ستروميرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1994، ص 666.
- ¹⁶ - هيربرت شيلر، المتلاعبون بالعقول، ترجمه عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 243، مارس. 1999، ص 58.